

المضاعفات الصحية لحروب الخليج 2

د. مي رمزي الارناؤوط

2015-05-25

الكاتبة اكاديمية مستقلة تماماً بدون أي ارتباط أو توجه سياسي وبدون أي تمويل لهذا الغرض الذي يقصد به الامانة العلمية في توثيق الحقائق والمنفعة العامة.

2. العوامل الكيميائية التي ثبت استعمالها في النزاعات واضرارها الصحية بصورة عامة:

من الجدير بالذكر هوان العمليات العسكرية التي صاحبت النزاعات السياسية في منطقة الخليج ما بين 1991-2003 كانت الاولى من نوعها في تاريخ الحروب على الكرة الارضية كما ونوعا حيث استعملت فيها عسكريا عوامل كيميائية وفيزيائية وتقنيات جديدة لم تعلن في وقتها غير انها اصبحت معروفة الان. ومن اهم هذه العوامل التي ثبت استعمالها وثبتت اضرارها الصحية بصورة لا تقبل الشك هي:

1. اليورانيوم المنضب المشع (DU) الذي يسبب التلف الوراثي (الجيني) للحامض النووي دي. ان. أي. DNA في نواة الخلية بدرجات وانواع مختلفة تتراوح حسب نوع ودرجة هذا التلف او الطفرة الوراثية الحاصلة على اثره ما بين العقم في الجنسين والاجهاض المبكر والتشوهات الجينية الى ظهور السرطانات المختلفة. وقد قام اطباء والعاملين في المستشفيات الحكومية في العراق على الاقل بنشر عدد من الاحصائيات المهمة لتوثيق ظهور واعداد وانواع هذه السرطانات في مختلف انحاء العراق شمالا ووسطا وجنوبا (1,2). اما في المناطق الخليجية الاخرى فهناك تحفظ اكثر في نشر هذه المعلومات ولاسباب غير واضحة تماماً (3). كما ان هناك اعداد لا يستهان بها من تلك الحالات السرطانية من مختلف المناطق المتعرضة لليورانيوم المشع يتم علاجها خارج منطقة الخليج سواء في البلدان العربية المجاورة ام في انحاء العالم الاخرى وخاصة في الدول الاوربية والتي قد لا تشمل في هذه الاحصائيات.

2. الفسفور الابيض القتالي (WP) وذلك لتفريقه عن الفسفور الابيض الحارق incendiary الذي يسمح به لاغراض عسكرية غير قتالية) والذي

تسبب استعماله بتركيز عالية عام 2003-2004 في ظهور أنواع متعددة وغير مسبقة من التشوهات الجينية التي يتم توثيقها في منطقة الفلوجة بالذات بصورة مستمرة وبجهود فردية من قبل الطبيبات والاطباء والعاملين في المستشفيات الحكومية هناك (4,5). وهناك دراسات منشورة حول هذا الموضوع بشكل إحصائيات ومقالات ووصف علمي لتلك الحالات هي غيضة من فيض من المعلومات العلمية والسريرية التي يستوجب أن يكون للعرب السابق العالمي في دراستها وتفصيلها ونشرها فهذه الحالات لا تزال تفتقد إلى الدراسات العلمية المنظمة والرصينة بشأن التأثيرات الوراثية والخلوية للفسفور الأبيض والوسائل الوظيفية والمرضية الكامنة خلف ظهور الأمراض في الجسم بسببه. وسنحاول في مقال لاحق تقديم نظرية في الأساس المافوق وراثية (الابيجينية) التي قد تكمن خلف التشوهات الجينية بسبب الفسفور الأبيض.

3. التيتانيوم والحديد: والذين ثبت أن جزيئاتهما الدقيقة التي وجدت مستقرة في أنسجة الرئتين بنسب معينة هي التي استعملت في الأسلحة آنذاك تكمن وراء ظهور التهاب القصيبات المتقلصة Constrictive Bronchiolitis وتليف الرئتين Lung Fibrosis في العسكريين الأمريكيين والتي عزيت في البداية إلى استعمال أسلحة كيميائية خفية وإلى جزيئات الرمال الملوثة أو الاثنين معاً (6,7) وقد لوحظت حالات متشابهة في العراق ومنطقة الخليج وصفت بالربو أو بمرض الإسكان تباعاً والتي عزيت إلى تراب اليورانيوم المنضب (8,1).

وهناك مواد كيميائية أخرى كالكروم والنيكل والرصاص والزرنيخ والنحاس وغيرها وجدت أيضاً بتركيز عالية وسامة في البيئة والبشر (9) بعد القتال في المنطقة. وسواء كانت هذه التركيزات العالية مقصودة أم أن وجودها يعزى إلى استعمال تلك الأسلحة بكميات هائلة غير مسبقة فالجواب لا يؤثر على حقيقة الأضرار الصحية التي ثبت علمياً علاقتها بالأسلحة الحربية من خلال بحوث صمم أكثرها لهذه الأغراض أجريت في خارج المنطقة تماماً كالولايات المتحدة وأوروبا والتي شوهدت واقعاً في المتعرضين لها من كل الأطراف. وستتناول هذا الموضوع بتفاصيل أكثر لاحقاً.

ومع أن حقل العمليات العسكرية كان منحصراً عام 1991 في مناطق حدودية معينة على الأغلب و بهدف المنشآت العسكرية أو شبه العسكرية دون غيرها إلا أن هذا لم يمنع من ظهور حالات مرضية شديدة وبصورة حادة في غضون فترات قصيرة بعد العمليات بدت واضحة في آلاف السكان المدنيين المحليين وأطفالهم بصورة لا تقبل الشك. ولم يخلو ظهور هذه الحالات المرضية في تلك اللوحة من المناوشات السياسية والانتهاكات المتبادلة بل وحتى محاولات نكرانها التام حيث منع التصريح بوجودها أو إعلانه تماماً في بداية الأمر إلا أن

هذا لم يؤثر على حقيقة ظهور هذه الحالات سواء في الهيئات الصحية والاجتماعية كواقع جديد ينبغي التعامل معه بشكل او باخراو في القطاعات العسكرية نفسها كأمراض تتعلق بالوظيفة وما يتبع ذلك من علاج وتعويضات (9). وبعد تكرار استعمال هذه العوامل السامة والمسرطنة ما بين عامي 2003 و2004 في العراق بصورة شاملة وعلى المناطق المأهولة دون تفريق في هذه المرة ارتفعت نسبة الوفيات في الاطفال الى 4 مرات مقارنة بالاردن و8 مرات مقارنة بالكويت. كما زادت حالات السرطان 4 مرات في البالغين والى 12 مرة في الاطفال بحيث ان احدى الصحف البريطانية المعروفة اعتبرت تأثيرات ماتعرضت له المنطقة من اليورانيوم المشع بأسوأ القنبلة النووية في ناكازاكي (11).

وهناك من حاول نكران استعمال تلك الكيمياء والفيزياءات او وجود اضرار تتعلق باستعمالها في السكان. ومع ان هذا الموقف كان متوقعا في البداية باعتبار النكران نوع من (الدفاع النفسي) الا ان الاستمرار في هذا مع وجود حقائق ودلائل دامغة ظهرت وتجمعت بصورة تدريجية وتلقائية وبمرور الزمن هو اما ظاهرة نفسية غير طبيعية او سذاجة متناهية. والاهم من كل هذا هو ان هذه الاعراض المرضية غيرت التوزيع الابدئيمولوجي لبعض الامراض في المنطقة منذ ذلك الحين ولحد يومنا هذا وربما الى الابد وذلك لاستشراؤها وقابليتها على الانتقال الوراثي كما سيأتي في مقال مفصل حول هذا الموضوع. وهنا يصح القول بلغة عربية صريحة ان تلك الامراض تخللت في (صلب) المجتمع العربي بحيث ان نكرانها لا يقدم بعد ذلك وانما يؤخر فقط.

اما الذي صدق ان تلك الحالات كانت مؤقتة وزائلة مع الوقت فاغلب الظن هو انه لم يكن في علمهم الكامل او استيعابهم نوعيات وكميات العوامل التي استعملت في الاسلحة وتأثيراتها على جسم الانسان والاحياء الاخرى والبيئة بكاملها في المنطقة. والحقيقة انه لم يكن في الوسع معرفة كل هذا انذاك لان الكثير مما استعمل كان يجرب لأول مرة في الانسان والبيئة على خلفية علمية بسيطة ومبدئية لم تتعدى انذاك الخواص الكيميائية والمختبرية لتلك العوامل وربما بعض التقارير الفردية عن الاضرار الصحية المبدئية للتعرض البشري الغير مقصود كالتعرض اثناء العمل في مناجم اليورانيوم المشع او التعرض بسبب الحوادث كما في معامل الفوسفات والزرنيخ الكيميائية مثلا. وفي كل الاحوال فقد ثبت بمرور الوقت بان تلك الامراض التي ظهرت فجأة انذاك استمرت بعدها بالظهور باشكالها غير المسبوقة ولحد يومنا هذا وبعد مرور اكثر من جيل كامل على استعمالها. ونأمل في نشر هذا النوع من المعلومات ان يقتنع ذوي المواقف السلبية بالعدول عن مواقفهم واعادة النظر بالدلة العلمية التي توفرت خلال ال27 سنة الماضية من جميع الاطراف لان الاراء السلبية تقف حجرة عثرة في طريق التخطيط الصحي والبيئي والاقتصادي على مستوى منطقة الخليج ككل فلهذه العوامل اثرى الحدود

الجغرافية المرسومة على الخريطة ولا يعرف المرض شيئاً عن النزاعات السياسية.

المصادر

1. Al-Azzawi, S. 2006, Depleted Uranium Radioactive Contamination in Iraq: An Overview. Presented at the 3rd ICBUW International Conference Hiroshima, August 3-6 2007
2. Habib, O. et al, Cancer Registration in Basrah 2005, Asian Pacific J. Cancer Prev.; 8 : 187-190
3. Waness, A. et al, 2011. Respiratory disorders in the Middle E: A Review, Asian Pacific Society of Respirology ;16 (5): 755-766
4. Alaani, S. and Miri, A.A. 2013. Case report: left hand Acheiria in 3 newborns with a period of 3 months during the year 2011 in Falluja general hospital 2013. Clinical Medicine Research;2 (4):84-88
5. www. Birthdefects.FGH
6. King et al, 2011, Constrictive Bronchiolitis in soldiers returning from Iraq and Afganistan. N.Eng.J.Med,365:222 -230
7. Szema, A. et al 2011. Respiratory Symptoms Necessitating Spirometry Among Soldiers With Iraq/Afghanistan War Lung Injury, JOEM Sept. ;53 (9):961-965
8. Korényi –Both, A., 2000. The role os sand in chemical warefare agent exposure among Persian Gulf War veterans: Al-Eskan disease and “dirty dust”, Mil. Med. May;165 (5): 321-336
9. Al-Sabbak, M. et al 2012, Bulletin of Environmental Contamination and Toxicology; 89 (5):937-944
10. Tiechman, Ron, 2012. Exposures of Concern to veterans Returning From Afghanistan and Iraq, JOEM; 54 (6) November: 677-681
11. Patrick Cockburn, The Independent, Saturday 24 July 2010, Toxic legacy of US assault on Falluja ‘worse than Hiroshima’.

البريد الإلكتروني للكاتب: drmayramzey@yahoo.com